

## شعرية اللون في الشعر العربي الحديث علي محمود طه - نموذجاً -

د. سعيد بكير  
جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف.

### Abstract:

In my research I would like to show the role of colors and their effect in Arabic poetry in general and modern poetry in particular.

As it is one of the important sources inspired by the poet's image and meanings and his imagination. Through the unusual overlap between the voice of the word and its coloration, which emanates from its multiple meanings which allows the poet to invest in various ways.

### ملخص:

أود في بحثي هذا أن أبين دور الألوان وأثرها في الشعر العربي عامة، والشعر الحديث خاصة، إذ تعد من المصادر المهمة التي يستلهم منها الشاعر صورته ومعانيه وأخيلته، وذلك من خلال التداخل غير العادي بين صوت الكلمة ودلالاتها اللونية، التي تنبعث من إحياءاتها المتعددة، التي تسمح للشاعر باستثمارها بطرق شتى.

### الشعر والشعرية، قراءة في المفهوم :

يعتبر الشعر من المستودعات المهمة التي تحمل تراث الأمم، من عادات وأفكار وديانات وأساطير، وقد استدل به العديد من العلماء في كثير من القضايا النحوية والبلاغية المستعصية، الخارجة عن القاعدة، وبذلك ظل الشعر مادة لغوية جليلة القدر مستقلة عن النثر في أمور كثيرة.

ولما كانت درجة تذوق النفس الإنسانية تختلف من فرد لآخر، فلا غرو إن قلنا: إن مهمة الشاعر صعبة في ملء فراغات المتلقي الذي يتحسس المفردات وكل التراكمات الواردة في مختلف أبيات الشاعر، وإذا كانت كل حاسة من حواس الإنسان (المتلقي) بهذه الدرجة الرفيعة من التذوق فإنه من واجب كل مرسل إلى هذه الذات أن يكون ذا وقع وتأثير، لأن النفس "تقبل اللطيف وتنبو

عن الغليظ و تقلق من الجاسي البشع، و السمع يتشوق للصواب الرابع، و يتروى عن الجهير الهائل"<sup>1</sup>. ولذلك، كان الشعر أهم أنواع الفنون اهتماما باللغة، لأنها بمثابة الريشة للرسم، وكلما كان التحكم فيها، رأيت الشعر " متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفرغا واحدا، و سبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان "<sup>2</sup>. وهذه دعوة صريحة إلى الاهتمام بلغة الشعر لأنها وسيلة في معرفة مدلولاته و إحياءه و إشارات، ولأن " روعة الشعر ترد إلى تصوير وتجسيم الأفكار و المشاعر الوجدانية"<sup>3</sup>.

والجرجاني في هذا القول يبرز لنا مدى أهمية اللغة لأنه يراها مصدرا للجمال الفني في زخرفتها وسحرها، لذا فهو يربطها بفنون أخرى كالرسم لما لهما من علاقة وطيدة في طريقة تقديم المعنى وطريقة التشكيل و تأثيره في نفس المتلقي.

إنّ الشعر صناعة و ضرب من التصوير كما قال الجاحظ، وإتّما يقال إمّا ليخلص قائله من العواطف أو من أجل بثّها فيه، "بل يقوم في جوهره على جلب نوع من المتعة العقلية، ليست سلبية بل إيجابية هي متعة التصوير ووصف ومحاكاة جميع الأفعال الإنسانية والانفعالات والأشياء والأحياء، وهذه المحاكاة إذن موضوعية، و بالتالي ذات طابع كلي، يجعل الشعر صورة للحقيقة"<sup>4</sup>.

مما يجب التأكيد عليه هو أنّ الشعر صناعة إضافة إلى كونه تجربة تقوم على تمازج الثقافة العقلية بالعواطف و الأحاسيس، فهو فن يوحى بالجمال، و نتكهرب لسماعه، و هو كما يقول هيدجر: "تأسيس بالكلام و في الكلام و هو اللغة العليا عند مالارميه، و سيّد الكلام عند جاكسون"<sup>5</sup>.

نظرا للقيمة والمنزلة التي أعطيت للشعر، تم تناوله بالدراسة بمختلف الطرق والأساليب والمناهج على اختلافها، ولقد اقتحمت الشعرية بابه،

1 الصناعتين/لأبي هلال العسكري /تح: مفيد قميحة/ دار الكتب العلمية /بيروت /لبنان ط2/ 1989 ص72.

2 مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ /ميشال عاصي /مؤسسة نوفل/ بيروت /ط2/ 1982 ص117.

3 نظرية اللغة والجمال في النقد العربي / تامر سلوم/دار الحوار /ط1/ 1983 ص180.

4 فن الشعر/أرسطو طاليس / تر: عبد الرحمن بدوي/ دار الثقافة / بيروت/لبنان ص15.

5 حادثة السؤال/ محمد بنيس/ ط2 موسعة /المركز الثقافي العربي/ 1988 ص23.

وجعلته يستجيب لمتطلباتها في كشف فرادة العمل الشعري، وطوّعت له المجالات الأخرى كالنحو، والأصوات.... الخ.

هذه النظرية تركّز على علامات النص وبنياته، وتستثمر جرأة المتلقي في استغلاله التام لأدوات الدراسة النصيّة، كما أنّها تولي اهتماما خاصا باللغة، و تضعها في المقام الأول، وجعلها دليلا لها في مناوراتها مع الخطاب للوصول إلى معناه، ولقد عرفت الشعرية بداياتها مع أرسطو طاليس، من خلال كتابه " فنّ الشعر " أو " في الشعر"، الذي يعد مرجعا لكل الشعريات، وإن أشار أرسطو إلى نوع واحد وهو شعرية التمثيل واعتبر الشعر نوعا من المحاكاة، لذلك يقول "إنّ الشعر محاكاة، وهذه المحاكاة تتم بوسائل ثلاث، قد تجتمع، وقد تنفرد، هي الإيقاع والانسجام واللغة"<sup>1</sup>.

والحقيقة أنّ هذا المصطلح "poétique"، ارتبط عند بعضهم بالشعر والأعمال الشعرية، وعند البعض الآخر بالنتز، وركّز على اللغة الشاعرية، ولذلك فالشعرية تقودنا إلى أن لا نتوقف عند حدود الإفهام أو الدلالة المعجمية بل تتعداها إلى حدود التأثير.

ومن الملاحظ أنّ أرسطو قد ضيّق مجال الشعرية، وحصرها في التمثيل، في حين تعدى هذا المفهوم مجاله، وأصبح بمفاهيم متعددة عند النقاد المحدثين، ثم إن البحث عن الشعرية يفرض علينا تقسيمه إلى قسمين:

أ/ الشعرية عند العرب.

ب/ الشعرية عند الغربيين.

و بما أنّ موضوع هذه الدراسة يبحث في شعرية الصورة اللونية في الشعر العربي المعاصر، لا بأس أن نقف وقفة موجزة عند مفهوم الشعرية في المدرستين.

#### أ) الشعرية عند النقاد الغربيين:

تتجلى إسهاماتهم في هذا المجال، فيما قدّمه أرسطو حول الشعر من مقولات وفيما قدّمه من جاء بعده في مجال الشعرية أمثال: تودوروف، جان كوهن، وجوليا كرسنيفا،.... وغيرهم كثير، وعليه فموضوع الشعرية كما قال تودوروف " إنّ هذا العلم، لا يُعنى بالأدب الحقيقي بل الأدب الممكن، وبعبارة أخرى يعنى تلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي،

1 فن الشعر /أرسطو طاليس/ تر و تح : عبد الرحمان بدوي /ص40.

أي الأدبية"<sup>1</sup>، إنّ تودوروف يربط الشعرية بالقارئ، الذي يستنبط، ما لا يقوله النص، ويكتشف أدبيته، والأدبية مصطلح خاص بالمدرسة الشكلانية، وهو موضوع علم الأدب عندهم، والملاحظ كذلك أنّ تودوروف لم يحصر الشعرية في الشعر فقط، بل تجاوزه إلى بقية الأجناس الأخرى.

أما عند رومان جاكسون، فقد خصص للشعرية، مكانا خاصا، وأفرد لها وظيفة من وظائف الخطاب، سمّاها بالوظيفة الشعرية *fonction poétique*، وعدّها الوظيفة المهيمنة في الخطاب الأدبي، وفي هذه الوظيفة، يتم التركيز على اللغة التي ترتقي، وتميز الأدب عن باقي الخطابات الأخرى، كالخطاب الإعلامي والخطاب الديني.... الخ، وهذه الوظيفة تخصّ الرسالة وجوهرها في عملية التواصل، وتنبه لضرورة هذه الوظيفة " لأنّ التحليل الدقيق لهذه اللغة يتطلب أن نأخذ حريا بعين الاعتبار الوظيفة الشعرية....."<sup>2</sup>.

وعن مفهومها ( الشعرية) عند كوهن، فإننا نجده يقرنها بالشعر، وأنشأ ثنائية في هذا المجال وهي: شعر/ نثر، أي مقابلة جنس الشعر بجنس النثر، و"الشعرية" –عنده- علم موضوعه الشعر"<sup>3</sup>، وكثيرا ما قرّن الشعرية بالانزياح *déviacion*، فالانحراف عن المعيار هو الذي يصنع شعرية الخطاب الشعري ويخرجه من المألوف إلى اللامألوف، ومن القاعدة إلى اللاقاعدة، كما لا يمكننا تجاهل ما قدّمته الباحثة جوليا كرسيفا وميكائيل ريفاتير وجرار جنيت في هذا المجال.

### ب ) الشعرية عند النقاد العرب:

بدأت الشعرية عند العرب منذ بدأ الشعر، فهي تتلخص عند القدامى في " عمود الشعر" وقواعده التي سطرها المرزوقي، وسارت على هذا الدرب عند جلّ النقاد أمثال ( الجاحظ، ابن قتيبة، قدامة بن جعفر، ابن طباطبا العلوي) وعرفت تطورا في المفهوم مع عبد القاهر الجرجاني، الذي ظهر مدافعا عن الشعر، في كتابه " دلائل الإعجاز " <sup>4</sup>، وشعريته تلخصت في نظرية النظم

<sup>1</sup> الشعرية/ تزفتيان تودوروف/ تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة / دار توبقال للنشر / ط1/ المغرب 1987 ص 23.

<sup>2</sup> قضايا الشعرية / رومان جاكسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون / دار توبقال للنشر / ط1/ المغرب/ 1988 ص 32.

<sup>3</sup> بنية اللغة الشعرية / جون كوهن ، تر: محمد الولي ومحمد العمري/ دار توبقال للنشر/ ط1/ الدار البيضاء /المغرب/ 1986 ص 09.

<sup>4</sup> دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني/ تح : محمد رشيد رضا / دار المعرفة/ بيروت/ لبنان/ ط1/ 1981 ص 10.

التي أسسها انطلاقاً من فكرتي التأليف و النسخ، واكتمل نضج المفهوم مع القرطاجنيّ في ربطه الشعر بالأقويل الشعرية ( تخييل و تأثير في النفس)، والمتلقي.

كما تحرك مفهوم الشعرية العربية مع النقاد المحدثين، وعُرِّفت عند كمال أبو ديب "بأنها ليست خصيصة في الأشياء ذاتها بل في تموضع الأشياء في فضاء من العلاقات بدقة أكبر، لاشيء شعري، لاشيء يمتلك الشعرية، ما هو شعري هو الفضاء الذي يتموضع بين الأشياء بين شيئين فأكثر، ينتظمان:

أولاً: في علاقات تراصفية ونسقية.

ثم ثانياً: في علاقات تتشابك وتقاطع وإضاءة داخلية متبادلة.

ثم ثالثاً: في علاقات إضاءة بين النص والآخر، هو المبدع والعالم والمتلقي

وتاريخ

النصوص الأخرى ضمن الثقافة وخارجها " 1، يظهر لكمال أبو ديب أن الشعرية في ملء مسافة الفجوة التي تفصل القارئ عن نصه فالشعرية تتحقق عندما يستطيع القارئ ربط أفعه بأفق النص، وهذا ما يسمى بالمسافة الجمالية عند يابوس صاحب نظرية التلقي.

وتعتبر الشعرية هاجسا كبيرا لدى أدونيس، فقد أفرد لها كتابا وإن صح التعبير مشروعاً، ربطه بالحدثة ونادى بضرورة تطويرها، وفق متطلبات العصر وحاجات الإنسان المعاصر ولذلك كانت نظرته إلى الشعر بأنه<sup>2</sup>:

1- يصح للشعر مفهوما مغايرا للمفهومات الموروثة، يتغير معناه ودوره.

2- ينبغي التركيز على دراسة لغة القصيدة في علاقاتها التي تقيمها أنّها، الكلمات- العلاقات.

3- القصيدة لا تحيل إلى معلوم، وإنما إلى مجهول حاضر أو محتمل، ومهمة النقد أن يحاول اكتشافه.

4- الممارسة الكتابية الحديثة ممارسة استباقية، أي أن الكتابة تؤسس تاريخها على الرغبة والرؤيا والكشف أي على ما يخترق العادة وركز على مفاهيم المتشابهة واللامتناهي.

5- القصيدة / النص: نسيج حضاري، شبكة / فضاء يتداخل فيها إيقاع الذات وإيقاع العالم.

<sup>1</sup> مفاهيم الشعرية/ حسن ناظم/ المركز الثقافي العربي / ط1/ الدار البيضاء/ المغرب/ 1994/ ص16.

<sup>2</sup> فاتحة لنهايات القرن / أدونيس/ دار العودة / ط1/ بيروت/ لبنان/ 1980/ ص338.

لقد نظر أدونيس إلى الشعر والشعرية بنظرة حديثة، تدعو إلى الانسلاخ عما قدمه الأوائل في هذا الميدان وأكد على ضرورة قراءة التراث، قراءة ثانية، والاستفادة منه في نقاطه المضيئة، كما دعا إلى بناء قصيدة، تقوم على أسس جديدة، أهمها البناء المعماري الجديد، الذي يخرج عن الإطراب والإسماح وإحداث الهزة والفائدة، إلى قول المجهول وارتداد المطلق والبحث عن كتابة جديدة تركز على الجسد، فيعطي للبصر أهمية في قراءتها بدلا عن السمع.

وللإشارة أنّ مصطلح الشعرية، عرف ترجمات عديدة<sup>1</sup>، قد توقع المتلقي في جو مضطرب لا يساعد على إثراء البحث في هذا المجال، ومن الجهود التي قُدمت في مجال الشعرية العربية الحديثة، جهود ( عبد الله الغزامي - عز الدين المناصرة - عبد الملك مرتاض - عبد العزيز حمودة - جمال الدين بن الشيخ... وغيرهم، ومن المباحث الهامة التي أسست المفهوم الجديد للشعرية، مبحث الصورة الشعرية وكيفية بنائها في توصيل المعنى للقارئ، وقد اخترت منها جزئية للدراسة والتطبيق وهي الصورة اللونية.

- فما أهمية الصورة اللونية في صنع شعرية القصيدة المعاصرة؟
- وما مدى إسهام اللون في صنع الدلالة وتعددتها؟
- وكيف هو الشاعر مع الألوان؟

### الشاعر و الألوان :

إنّ الاعتراف بأهمية اللون في حياتنا قضية هامة، جديرة بالوقوف حولها والحديث عنها، لأنّ اللون ليس مجرد مسحة أو صبغة تزين الأشياء، وإنما يعبر عن دلالة وقيمة في نفسه، لا يعرفها إلا متذوق، حيث أصبحت الألوان في عصرنا هذا تكتسي عدّة دلالات، فنجدّه يعقد عدة علاقات بمجالات أخرى كالدين و الأصوات والتراث الشعبي و الموسيقي و الشعر... الخ، وأصبح كل لون يرمز إلى دلالة، فالأحمر للخطر والأسود للحزن و الأبيض للصفاء و الطهر وغير ذلك، حيث وظفه القرآن الكريم في العديد من الآيات، منها ما جاء

سورة البقرة: (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّاتِرِينَ ﴿٦٩﴾<sup>2</sup>، فكان اللون أداة حاسمة للأمر.

<sup>1</sup> مفاهيم الشعرية/ حسن ناظم / ص 14 - 16.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 69.

كما وظّفه الشعراء وهاموا في سحره واندمجوا فيه، حتى لا تكاد كل قصيدة أن تخلو من الألوان، و كثيرا ما ربطوه بمواضيع المرأة و الحب و العشق ولعل الصورة اللونية عنصر من أهمّ العناصر المكوّنة للعمل الشعري، لذا من الضروري الوقوف على دراستها، وتبيان شعريتها، لأننا باللون نعبر عن الواقع أو نحيل إليه، وهو وسيلة و أداة فاعلة في تحريك الصورة "أما في الشعر فليس من مجال أمام الشعراء لتلوين صورهم أو تحريكها غير لون العاطفة ذاتها وما يطرأ عليها من حالات، ولكنهم ينجحون – إلى حد بعيد – في نفخ هذه الألوان على ما يصورون و يجعلونك تشعر بتحركها عن طريق العاطفة المتسقة"<sup>1</sup>.

إذن، فللون حركية دائمة في الصورة، وذلك في انسجامه و تناسقه، ومتلقيه هو الذي يحوّل علامته إلى بؤرة لإنتاج للدلالة " ويعد عنصر اللون أو " الصورة اللونية" أكثر الظواهر التعبيرية وضوحا في لغة الشاعر ممّا يجعلها أحد المفاتيح الهامة في فهم التجربة الشعرية و الوصول إلى المغزى الكامن وراء النصوص"<sup>2</sup>

ويستعمل الشاعر الألوان حتى يثير احياءات تتجاوز الإطار المعجمي و تنتقلك من المحسوس إلى ما وراء الظاهر، فتتحول دلالاته من وضعية إلى أخرى، فقد يشير ويشكل نفس القيمة الكامنة فيه، و قد ينقلب اللون دلاليا فيشير إلى عكسه، والأمثلة كثيرة في الشعر قديمه و حديثه، "ولدى شعرائنا العرب وجدنا خليل مطران يعتبر اللون (صورة الوجدان)، في قصيدة له بهذا الاسم"<sup>3</sup>.

إنّ توظيف الألوان وإدراجها في تشكيل الصور ظاهرة واسعة الانتشار فكثيرا ما كانت الطبيعة الخضراء بسهولة وأشجارها و نباتاتها ووديانها مصدرا لألوان وصور الشاعر، فاستعمال الألوان جاء على صورتين:

- 1- استعمال بصفة مباشرة ( دلالة مباشرة ) .
- 2- استعمال بدلالة ضمنية ( الليل، العين، السماء...)

<sup>1</sup> جولة في الشعر العربي المعاصر/إبراهيم العريض/مكتبة فخرآوي/ط1/بيروت/1962 ص 85.

<sup>2</sup> تجليات الشعرية (قراءة في الشعر العربي المعاصر)/فوزي عيسى/ منشأة المعارف/دط/1997/ القاهرة ص 186.

<sup>3</sup> الصورة الشعرية والرمز اللوني/ يوسف حسن نوفل/دار المعارف/دط/ د ت/ القاهرة ص32

وقد تنرباط الألوان وتتواءم كما قال أرسطو: « فإن الألوان ربما تتواءم كما تتواءم الأنعام بسبب تنسيقها المبهج »<sup>1</sup>، وهناك صفة جوهرية يجب ذكرها وهي امتزاج اللون بالصوت، لأن كلاهما عنصر جمالي، يسير بالاتساع ويتصف بالصفاء.

### تحليل لقصيدة « الطريق الأخضر » لعللي محمود طه:

#### نص القصيدة

- هذا الطريقُ الأخضرُ الصاعد بينَ ربوتين .
- كأنما شقَّ على قَدَرٍ خُطَى لِعَاشِقَيْنِ .
- الشجراتُ حوله كأنها أهدابُ عَيْنِ .
- كعهده بِصاحبِ الدَّارِ... ظليلُ الجانبينِ .
- نبَّاهِ الصدى المرنُ عن قدومِ زائرينِ .
- في فجرِ يومٍ ماطرٍ شقَّ حجابَ ديمتينِ .
- كأنما ينزلُ منه الوحيُّ... حَبَّاتِ لَجِّينِ .
- فانتبهتُ حَمِيلَةً تَهْرُ عَشَ طَائِرِينِ .
- وَشاعَ في الغابةِ هَمْسٌ مِنْ شِفَاهِ زَهْرَتَيْنِ .
- مَنْ العَرِيبانِ هُنا؟ وَمَا سَرَاهُما؟ وَأَيْنَ...؟<sup>2</sup>

علي محمود طه.

#### - إيحائية العنوان :

يمكننا أن نقرأ هذه القطعة الشعرية بدءاً من العنوان الذي يحيلنا على عدة إيحاءات وأسئلة، فهل خضرة الطريق دلالة ضمنية، أم أننا إذا سلطنا هذا الطريق فنهايتنا خصب ونماء لأنه أخضر؟ أم أن اخضرار الجانب هو الذي جعله يتلون بلونه، وبذلك يأخذ دلالة مباشرة، وقد يتبادر للقارئ أسئلة أخرى حول هذا الطريق، لكن بإمكاننا أن نؤول هذا العنوان إلى أن هذه الخضرة رمز للخصب والرعاية والاهتمام التي يوليها صاحب الدار لأشجاره، وهو رمز للخير والنعيم الدائم والجمال الذي لا يزول، وعكسه الصفرة والاندثار، واللون " الأخضر عنوان انبثاق الحياة والصحة يرمز إلى الكون والطبيعة

<sup>1</sup> اللغة واللون/ أحمد عمر مختار / عالم الكتب/ ط1/ 1982 ص175.

<sup>2</sup> جولة في الشعر العربي المعاصر/ إبراهيم العريض ص 84.

والربيع والمرح والسرور والشباب، والأزرق يشير إلى الهدوء والسكينة والامتداد والعالم الذي لا يعرف الحدود"<sup>1</sup>.

وقد يكون اللون الأخضر حاملا لدلالات أخرى، كأن يرتبط بروح الدفاع والمحافظة على النفس<sup>2</sup>، وكثيرا ما كان رمزا للخير لقوله تعالى: (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سَنَدَسٌ خَضْرًا وَاسْتَبْرَقَ وَخُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)<sup>3</sup>؛ وكما يقال فهو رمز الكاثوليك المفضل.

### قراءة في أبيات القصيدة :

لقد جاء أبيات القصيدة حافلة بالألوان وإن لم يصرح إلا بلون واحد وهو اللون الأخضر، فنجد في المقابل وظف عدة ألوان ضمنية كاستعماله : (الشجرات - عين - ظل - فجر - ماطر - همس - شفاه زهرتين)، لأنه "من الجائز أن نفس مقومات أخراة، غير لونية صراحة باللونية الضمنية، مثل السماء ( اللون الأزرق)، للسحاب - اللون الأبيض - عيوننا ( بكل ما فيها من ألوان مختلفة: أبيض وأسود مع حمراء أو زرقاء أو خضراء أو نحو ذلك)، بالقطر ويراد به إلى الماء الذي يتلون بلون ما"<sup>4</sup>.

فمن خلال البيت الأول: « هذا الطريق الصاعد بين ربوتين ». نلتمس دلالة على أنه إضافة إلى اخضراره، صاعد، صعب المنال، ضيق لا يسير فيه إلا واحد، ولكنه اتسع هذه المرة لاثنتين (للعاشقين)، تحقّه الأشجار المتداخلة المتشابكة الموفرة للظل، المانعة لأشعة الشمس من الولوج إلى المنطقة، كما أنها تمنع الأصوات الخارجية من التسرب إليه، وعليه كان المكان محلا للهدوء والصدى، هذه الصورة وإن لم تحمل ألوانا، فإنها تضمنتها في الكلمات الآتية (الشجرات، عين، ظل). فالشجرات دلالة سيميائية على اللون الأخضر، وقد ذكرناه سالفًا أما العين فإمكانها حمل أكثر من لون، أما الظل فيحمل دلالتين هما :

- دلالة الكرم وهي لصاحب الدار في قوله: " كعهده..."

<sup>1</sup> الصورة الشعرية والرمز اللوني/ يوسف حسن نوفل ص ص 33/32.

<sup>2</sup> اللغة واللون / أحمد عمر مختار ص 154.

<sup>3</sup> سورة الإنسان، الآية: 21.

<sup>4</sup> التحليل السيميائي للخطاب الشعري (شناشيل ابنة الجلبي)/عبد الملك مرتاض /دار الكتاب العربي/دط/ 2001 /الجزائر ص69.

- دلالة السمرة وهي لون الظل (ضمنية) وهو: « من اللطائف الشعرية التي لا تستقيم إلا لشاعر ذكي يدرك علاقات الأشياء بعضها لبعض، فلون الظل فعلاً أسمر، وإذا فالظلال سمراء، وفي لون السمرة (الضمني). توظيف سيميائي لطيف يمكن تأويله بالحيز العربي، وقل إن شئت بالسحنة العربية السمراء»<sup>1</sup>.

وختم اللوحة بصوت الصدى المرن، واختار الشاعر الصوت المرن لأنه ملائم لشعرية اللون اللطيفة الرقيقة، فلا يجتمع الخشن المزعج مع اللون اللطيف. وفي الأبيات المتبقية أو في اللوحة الأخرى:

- في فجر يوم ماطر شق حجاب ديمتين.
- كأنما ينزل منه الوحي....جباتٌ لجُين.
- وشاع في الغاية همس من شفاه زهرتين.
- من الغريبان هنا؟ ومسارهما؟ وأين...؟.

أشار الشاعر إلى وقت الزيارة التي كانت في الفجر، وهنا دلالة لونية أحرأة، وهي لون الفجر الفضي المنتشر في المكان الذي كانت حباته تقتل حبات الظلام، فلون الفجر هو لون الفتوة، لون التفقق، ولون العنقوان، فأصبح المكان مثعباً بفعل هذا اللون وامتزاجه مع خيوط المطر الهائل. وفي ذلك إشارة إلى نهاية لون خفي وهو اللون الأسود الذي فتقه الفجر والحب معا. وفي وسط هذه اللوحة الضبابية، انتبهت خميلة إلى وجود غريبين، حيث وقَّع الشاعر في استعماله رمز العزلة ثانياً وهو "الفاء" (فانتبهت)، وكأنها فوجئت بوقع الخطي، فالمكان جميل منعزل ظليل بأشجاره وصاحبه، واسع في ضيقه "فالألوان كما نرى هي التي تستند إليها سيميائية الانتشار في هذه اللوحة الشعرية العجيبة، وفي تعافص هذه الألوان وتزاحمها، متقاربة، متشابهة، يكمن التشاكل ويتجسد التباين"<sup>2</sup>

وتتوالى سلسلة أخرى من الدلالات اللونية وذلك في توظيفه لعلامتي (الزهرة،سراهما)، فيمكن "للزهرة" أن تتلون بالعديد من الألوان وخاصة في زمن الفجر التي تكون فيه في أبهى حلتها، وأما عن "سراهما" فهي سمة

<sup>1</sup> التحليل السيميائي للخطاب الشعري(شناشيل ابنة الجلبي)/عبد الملك مرتاض /دار الكتاب العربي/دط/ 2001 /الجزائر ، ص60.

<sup>2</sup> التحليل السيميائي للخطاب الشعري(شناشيل ابنة الجلبي)/عبد الملك مرتاض /دار الكتاب العربي/دط/ 2001 /الجزائر ، ص70.

دالة على أنهما سرّياً قبل الفجر، قبل النور، أي في الظلام، أضف إلى هذا هناك دلالة ضمنية أخرى وهي رائحة العبق و العطر المنبعث من الأزهار.

وتشير الشواهد التي ذكرتها على حرص الشاعر على تنوع مصادر ألوانه وان كانت كلها تتبع من مصدر واحد وهو الطبيعة الخضراء، بأشجارها وأزهارها وطبورها، وحشراتهما، مما يؤكد تعلق الشاعر بهذه الطبيعة، إنّ هذا الحضور المكثف للألوان في هذه القصيدة، دليل على وعي الشاعر الحديث عامة، وعلي محمود طه خاصّة، بأهمية اللون في ترجمة شعور الإنسان اعتماداً على البصيرة، ودليل على اقتراب الشعر من الفنون التشكيلية الأخرى كالرسم والنحت والموسيقى، وباعتبار الخطاب الشعري فناً، فإنّه ملزم بأن يتلون بكل الألوان، "وتعمل التعددية اللونية في مثل هذه الصور على استقرار الشكل وتكامله، وتندخل الألوان في توجيه مسارات الخطاب وموجهات أفكاره ونياته الدلالية وإشاراته السيميائية، على النحو الذي يؤثر فيه كل لون من زوايا خاصة يستجيب لخواصه وصفاته وقابليته على التشعير"<sup>1</sup>.

وعلى هذا النحو استطاعت الصورة اللونية أن تؤدي دوراً هاماً وفاعلاً، في إثراء التجربة الشعرية بالدلالات النفسية والمجازية والخروج بها من الإطار المحدود إلى اللامحدود، "وأن تقيم بين اللون والكلمة علاقة وثيقة يتداخل فيها اللامرئي بالمرئي، والرموز بالإشارات، والتجريد بالزخرفة"<sup>2</sup>، كما أكدت وعي الشاعر بما يمثله عالم الألوان من أهمية في عالم الشعر. إن قصيدة علي محمود طه هذه، ما هي إلا نموذجاً حياً ينطق بمدى أهمية شعرية اللون في إثراء الدلالة واتساع مستوياتها ووسائل تعبيرها .

<sup>1</sup> مريا التخيل الشعري/محمد صابر عبيد/إربد: عالم الكتب الحديث/ط1/ 2006/ عمان/ الأردن ص 244.

<sup>2</sup> ثلاثيات نقدية/ عبد العزيز المقالح/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ ط1/ 2000/ بيروت، لبنان، ص 184.